قراءة الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي
عتبات إلى التباس الوعي بالمقولات المنهجية في النقد العربي المعاصر

د. أحمد طايعي،جامعة مولاي إسماعيل، المغرب

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى المساهمة في النقاش العلمي الذي يحفل به الخطاب النقدي العربي المعاصر، خاصة ما ارتبط منه بضوابط وآليات تطبيق أطروحات" نظرية التلقي" في قراءة وتأويل نصوص الشعرية العربية القديمة بعامة، والصناعة الشعرية منها بخاصة.

وتبعا لهذا، فقد ذهبنا إلى قراءة المنجز النقدي المتحقق في كتاب" الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية: ذو الرمة نموذجا"، للأستاذ الباحث حسن البنا عز الدين. وذلك بغية:

أ)- فهم المرجعية المؤسسة لنص القراءة لدى هذا الباحث، وذلك عبر استجلاء المعطيات التنظيرية والإجرائية لنظرية التلقي.

ب)- تحصيل المعرفة النقدية بمستويات " الالتباس" أو " الاستشكال" المنهجي في تلقي شعر ذي الرمة في ضوء نظرية التلقي. ويمكن رصده في المجالين التاليين:

- مجال تطبيق حسن البنا عز الدين- وهو يقرأ أنماط التشكيلات النصية في شعر ذي الرمة- للمفاهيم والأدوات الإجرائية، التي وظفتها نظرية التلقي في بناء فعلْي القراءة والتأويل.

- مجال مقاربة حسن البنا للأفق المنهجي في أجهزة القراء، الأوائل والمتعاقبين، الذين تفاعلوا مع شعر ذي الرمة، فأبانوا عن اختلاف في ردود أفعالهم بإزائه.

المنارة للاستشارات

هذا، ويتفق على هذا الوجه من الفروض الأساسية في دراستنا، أن ضوابط القراءة التي توسل بها الأستاذ حسن البنا في" اكتشاف" أو " تلقي" شعر غيلان بن عقبة، إنما تأتت من جهة كفايتها الوصفية بدل فاعليتها الإجرائية والانجازية. وبالنتيجة تحقق فرض التباس الوعي بالمقولات المنهجية في قراءة الشعر العربي القديم في ضوء المناهج النقدية المعاصرة بعامة، وفي ضوء نظرية التلقي بخاصة.

الكلمات المفتاحية: النقد العربي المعاصر- نظرية التلقي- الشعر العربي القديم- المنهج- الالتباس المنهجي

Abstract:
This study aims to contribute in the scientific debate that it is full of contemporary Arab critical discourse, especially those associated controls and mechanisms applying theses "reception theory" in reading and interpretation of ancient Arabic poetic texts in general, and industry poetic ones in particular. Following this, we try to read the critical done in the book "the old Arabic poetry in light of receiving's the theory and Oral theory: Du-Aroumma model," researcher Professor Hasan azz al-Din al-Banna. In order to:
A) - understanding of the basic reference to reading's text of this researcher, via the showing of the critical and procedural of receiving theory.
B) - to build knowledge of the levels of "confusion" or "writ" systematic receiving theory of Du-Aroumma in the light of the reception theory. And it can be mentioned in the following fields:
- The application of the Azz al-Din Hassan al-Banna, reading scripts formations patterns in the poetry of Du-Aroumma for the concepts and tools of procedure, which was used by the receiving theory in actual reading and interpretation building.
- Field approach Hassan al-Banna horizon systematic readers devices, the precedent who interacted with the poetry of Du-Aroumma, and followers and they seem a difference in their reactions.
Hence, we conclude that the measures of reading, which professor Hassan al-Banna depends in the "discovery" or "receiving" Gayllan Ibin Okbaa. But recognized from its descriptive's competence instead of adequacy and

المنارة للاستشارات

effectiveness of procedural done As a result, check the imposition of confusion awareness methodological quotes in reading old Arabic poetry in the light of contemporary critical curriculum in general, and in the light of receiving's theory particular.

1- تصدير:

يتأسس هذا التقديم على قاعدة مضمونها، أن نظريات القراءة في ساحة الشعرية الغربية الحديثة، لم تأت على صورة متماثلة؛ سواء من حيث المنطلقات الفكرية والفلسفية، أو من حيث تمظهراتها المنهجية في مقاربة الخطاب الأدبي.(1)

هذا، ولا شك أن الناقد العربي المعاصر، قارئ معني بتتبع ما تمور به ساحة نظريات القراءة، من تحولات سريعة، وتطورات مذهلة، تمس أرضيتها الابستمولوجية. ومن الراجح أن المتأمل في المقاصد المتسترة خلف هذا الاهتمام، لن يجد كبير عنت في أن يرتد بها إلى رغبة، بله، حاجة الناقد العربي إلى مداخل منهجية متنوعة، تمنحه أكبر قدر من الحرية، في محاورة مكونات النصوص الإبداعية العربية؛ نقصد: تسعفه في "بناء" موجهات للقراءة ومحددات لإنشاء الأحكام، والدفاع عن النتائج القرائية، التي يفترض أن يتوصل إليها.

وعليه، فإننا نستهدف، من هذه المساهمة المتواضعة، المشاركة في الحوار العلمي الذي يحفل به الخطاب النقدي العربي المعاصر، خاصة ما ارتبط منه بضوابط وآليات تطبيق طروحات نظرية التلقي، في قراءة وتأويل نصوص الشعرية العربية القديمة بعامة، والصناعة الشعرية منها بخاصة.

ولأجل ذلك كذلك، سنسعى – ما أدتنا الحاجة المنهجية في نقد النقد- إلى تأطير ورقتنا في مباحث متكاملة ومتآخذة، بغية قراءة المنجز النقدي المتحقق في كتاب الأستاذ الناقد(2)، حسن البنا عز الدين " الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية، ذو الرمة نموذجا"(3). وهو سعي متأت عندنا من جهات عديدة، أهمها:

المنارة للاستشارات

- رصد المرجعية المؤسسة لنص القراءة لدى هذا الناقد، عبر استجلاء المعطيات التنظيرية والإجرائية لنظرية التلقي.

- تحصيل المعرفة النقدية بمستويات "الالتباس" أو "الاستشكال" المنهجي في تلقي شعر ذي الرمة، في ضوء نظرية التلقي. ويمكن رصده في المجالين التاليين:

أ)- مجال استثمار حسن البنا عز الدين – وهو يقرأ أنماط التشكيلات النصية في شعر ذي الرمة- للمفاهيم والأدوات الإجرائية، التي وظفتها نظرية التلقي في بناء فعلْي القراءة والتأويل.

ب)- مجال مقاربة الباحث للأفق المنهجي في أجهزة القراء الأوائل والمتعاقبين، الذين تفاعلوا مع شعر ذي الرمة، فأبانوا عن اختلاف وتباين في ردود أفعالهم بإزائه.

ويتفق على هذا الوجه من الفروض الأساسية في دراستنا هذه، أن ضوابط القراءة التي توسل بها الناقد، حسن البنا عز الدين في "اكتشاف" أو " تلقي" [(4)] شعر غيلان بن عقبة، إنما تحصلت من جهة كفايتها الوصفية التاريخية، بدل فاعليتها الإنجازية والإنتاجية. وبالنتيجة تحقق لدينا فرض التباس الوعي بالمقولات المنهجية في قراءة شعر هذا الشاعر في ضوء نظرية التلقي بخاصة.

المبحث الأول: بيان الشكلية المنهجية وتبيين مقاصد القراءة

قبل أن نستعرض، توصيفا، الشكلية المنهجية التي اعتمدها الناقد حسن البنا عز الدين، في بناء قراءته للخطاب الشعري عند ذي الرمة، نستحسن الإشارة إلى أن جهاز القراءة الذي اصطفيناه للمقاربة، ينبني أولا، على الإسهامات النقدية للشعرية العربية القديمة، وثانيا، على المرتكزات النظرية للمنهج التاريخي في النقد الأدبي، وثالثا على المفاهيم والأدوات الإجرائية لنظرية التلقي الألمانية؛ ممثلة في أبحاث مدرسة كونسطانس، بزعامة هانس روبرت ياوس وولف غانج إيزر.[(5)]

المنارة للاستشارات

هكذا لن نباعد في القول إذا أكدنا أن الحديث عن السيرة الذاتية لناقد حداثي، من طينة الأستاذ الباحث حسن البنا عز الدين، ومحاولة التعرف إلى أبرز الملابسات التي اكتنفت تكوينه النقدي، ليس من غاياتنا ههنا. فقد تكفلت بطون الكتب الخاصة بالترجمة لشخصية النقاد العرب المعاصرين مؤونة التمحيص وجهد التقصي. لأجل ذلك سنستنكف عن مجاراتها، منشغلين ببيان الشكلية المنهجية في قراءة شعر غيلان بن عقبة: ذو الرمة.

فمع كتاب (الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية "ذو الرمة نموذجا"، نقف على إسهام نقدي لأستاذ وناقد أكاديمي، خريج مدرسة الناقد عز الدين إسماعيل، المشهود له بقراءاته الإنتاجية للشعرية العربية قديمها وحديثها. ويمكننا البدء، في هذه العتبة، بإلقاء الضوء على **"العنوان"**، فنعتبره عقدا قرائيا[6]، بين الناقد والقارئ، وشرطا أساسيا، يجنب الطرفين التخبط في فضاءات الدرس النقدي، من غير ما دليل أو حجة.

لقد حصر الأستاذ حسن البنا موضوع دراسته في الصناعة الشعرية لدى ذي الرمة. كما حصر – في الذي ادعاه- قراءته لتلك الصناعة وبيان أجهزة القراء الذين تفاعلوا معها، في مقولات ومفاهيم، تتعلق بنظرية التلقي أولا، وبالنظرية الشفوية ثانيا. وهذا مسلك ينم، بصورة أو بأخرى، عن الوعي بأهمية "المنهج النقدي" في ذهن الناقد. كما يلمح إلى رغبته في تبين حقيقة اهتمام القراء بشعر الشاعر عبر التاريخ. يقول: "وتسعى القراءة الراهنة إلى الوقوف على الملامح الرئيسة لطبيعة هذا الاهتمام وتفاعل بعضها مع البعض الآخر" [7].

وما يلحقنا الشك، في أن معمار الشكلية المنهجية للكتاب، لخير مصرخ للقارئ في بناء وضعية تواصلية تتآخذ فيها أشعار ذي الرمة مع الرؤية المنهجية التي اعتمدها الناقد حسن البنا.

فأخذا بعين الاعتبار للمقدمة التي أبان فيها الباحث، عن حبه الشديد لشعر ذي الرمة، وتطلعه لبناء تواصل تفاعلي منتج، بينه وبين المتلقين لنص قراءته. فشغفي بذي الرمة

المنارة للاستشارات

وشعره- يقول حسن البنا-" يرجع إلى زمن طويل منذ أيام عملي في أطروحتي للدكتوراه في الشعر العربي القديم.. وأرجو أن يلقى هذا الكتاب من المهتمين بالشعر العربي القديم بعض الاهتمام لعله يكون امتدادا لحوار علمي ضمني بيني وبينهم". [8]

ثم ما استتبع ذلك من بيان لخطة الكتاب، وما يتضمنه من فصول؛ ناهيك عن ثبت بمصادر الكتاب ومراجعه، وفهرس بمحتوياته. فقد بني الكتاب – بوصفه مشروعا قرائيا- على فصول ثلاثة، كتبت في أزمنة متباعدة[9] تؤالف بينها المؤديات النقدية، التي تقصد استقصاء الضوابط البانية لجنس الشعر عند ذي الرمة.

كان ما انشغل به الفصل الثاني: وعي الكتابة وكتابة الوعي (ذو الرمة بين الشفاهية والكتابية)، والفصل الثالث: قراءة تحليلية لبائية ذي الرمة[10]، هو تحليل الخطاب الشعري لذي الرمة، من خلال بيان المرجعيات المؤسسة له. إن شعر هذا الشاعر– يقول حسن البنا- "يمثل خطوة جوهرية في تطور الوعي الكتابي في الشعر العربي القديم. ويساعد النظر إليه بهذه الصفة على فهم كثير من الحقائق المكتشفة في شعره، سواء لدى القدماء أو المحدثين"[11].

وكان ما انفرد به الفصل الأول: ذو الرمة وشعره، بين الاكتشاف والتلقي، هو حديث الناقد حسن البنا عز الدين، عما اعتبره **ضوابط ومستويات** في تلقي القدماء والمحدثين لذي الرمة وشعره. وقد قدم الباحث لعمله، هنا، بمقدمة عن نظرية التلقي في إطارها الخاص، وفي سياق استخدامها في درس الأدب العربي القديم. لينتقل، بعد ذلك إلى النظر، أولا، في اهتمامات القدماء بذي الرمة وأخباره، كما وردت في كتابي (الأغاني)، لأبي الفرج الأصفهاني، و(الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) للمرزباني. وثانيا، إلى فحص الملامح الرئيسة المتحكمة في طبيعة اهتمام المحدثين بهذا الشاعر وشعره؛ وذلك من خلال الأعمال المختلفة، التي تناولت شعره"[12] في العربية، وبعض اللغات الأجنبية بالدرس والتحليل، وهو ما شكل حركة حيوية حوله وحول شعره؛ " إنه علامة متميزة في أفق الشعر العربي القديم". [13]

المنارة للاستشارات

وقد ذيل الباحث هذا الفصل، ببليوغرافيا بالأعمال التي كتبت عن ذي الرمة وشعره، من 1874م إلى 1998.

ولعلنا لا نجانب الصواب النقدي، إذا ما أوردنا نصا يلخص فيه الأستاذ حسن البنا، الرؤية المنهجية لكتابه (الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية: ذو الرمة نموذجا): يقول ".. وبالنسبة إلى عمل [حسن البنا] عز الدين فهو مقارنة بين تلقي القدماء والمحدثين لشعر ذي الرمة وأخباره، في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية. وتقوم هذه الدراسة على خلفية عمل تطبيقي في تحليل شعر ذي الرمة للباحث نفسه... ويقدم الباحث لعمله هنا بمقدمة عن نظرية التلقي في إطارها الخاص وفي إطار استخدامها في درس الأدب العربي القديم (ص: 6-16)، وبعد ذلك يحاول الباحث أن ينظر في اهتمامات القدماء بذي الرمة وأقوالهم عنه،.. وفي اهتمامات المحدثين به كذلك.. وقد سعى الباحث في كل ذلك إلى تصور أفق توقع ذي الرمة نفسه من خلال تفاعله مع الشعر السابق عليه والمعاصر له، بالإضافة إلى الإلمام بآفاق توقع المعاصرين له واللاحقين بهم من القدماء، وصولا إلى المحدثين بآفاق توقعاتهم المتشابهة تاريخيا ونفسيا إلى حد كبير. وقد ساعد أفق التوقع المستخلص من شعر ذي الرمة نفسه في فهم كثير من الإشكاليات المثارة حوله قديما، وتفسير النظرة الحديثة إليه في الوقت نفسه"**(14)**.

المبحث الثاني:

تحصيل المعرفة بأسئلة المنهج في كتاب الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية.

لقد كان تحصيل القارئ حسن البنا عز الدين للمعرفة بمكونات الصناعة الشعرية لدى الشاعر الأموي ذي الرمة 'غيلان بن عقبة (77- ت117هـ)، عبر تعيين الشروط التي تحكمت في بناء مستويات تلقي شعره، من طرف المتلقين تاريخيا- محكوما بسؤال منهجي،

المنارة للاستشارات

يرتبط بتحديد الوضع الاعتباري لشاعرية ذي الرمة من داخل الصناعة النقدية العربية والإستشراقية؛ وهذا ما سيدفع بالناقد حسن البنا، إلى اشتراع موجه قرائي جوهري، اعتمد فيه تقنية **"عرض المعرفة"**، عبر **مقاربة وصفية تأريخية، إخبارية**، تستحضر آلية الضبط والتوثيق، والتنظيم الذاكري للزمن التاريخي الذي عاشه ذو الرمة وصناعته الشعرية، بمتم القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة.

وبمعنى ما، أن هذا الموجه المنهجي يتمتع بحضور جد لافت، في مجموع الإجراءات المنهجية التي تسلح بها حسن البنا في مقاربته للخطاب الشعري عند ذي الرمة. حيث يتمظهر تحققه في التأريخ لشخصية الشاعر، والإخبار عن وجوده الفعلي، وذلك من خلال اتخاذ موضوعة شعره أفقا للبحث والدراسة التاريخية. وهذا زعم يستقي مشروعيته، من خلال التدليل بنماذج تمثيلية من الأسلوبية النقدية ومضمناتها في كتاب الباحث حسن البنا.

1- يقول: " وإذا استعرضنا بعض أخبار ذي الرمة في الأغاني، وجدنا بعض الإشارات المهمة إلى وعي ذي الرمة ومعاصريه بالبعد الكتابي في شخصيته، بل ربما أمكن تأويل بعض أخبار الشاعر، التي تمتد إلى طفولته من هذه الجهة كذلك". **(15)**

2- ويقول: " ومع ذلك، فإن ذا الرمة لم ينج من إهمال متعمد اختلطت فيه الأسباب الفنية بالشخصية والسياسية لدى معاصريه". **(16)**

3- ويقول: " فإذا عدنا ونظرنا في بعض الروايات حول طفولة الشاعر ولقبه، أمكننا أن نفسرها من منطلق تأثير الكتابة الضمني في حياة هذا الشاعر وفنه منذ صغره ". **(17)**

4- ويقول عن دراسته بصيغة الغائب: " يحاول الباحث أن ينظر في اهتمامات القدماء بذي الرمة وأقوالهم عنه .. وفي اهتمامات المحدثين به كذلك". **(18)**

المنارة للاستشارات

5- ويقول: " أثار الشاعر الأموي ذو الرمة، اهتمام المعاصرين له على نحو إشكالي لافت للانتباه. كما أدهش بعض المؤلفين والمغنين في العصر العباسي، فكتب في أخباره كتبا وفصولا، ولحن في شعره ألحانا ".[19]

إن مثل هذه النصوص التمثيلية – وغيرها كثير- تقر بأن محددات أفق القراءة الشعرية عند حسن البنا، لابد أن ترتهن **بقاعدة التجميع الإخباري**[20]، المؤسسة هي نفسها، على تقصي مجمل جزئيات حياة ذي الرمة، المادية والتاريخية والنفسية. وهو ما غدت معه التجربة الشعرية لهذا الشاعر، موضوعا تاريخيا،وحقيقة واقعية سجينة المنهج التاريخي.

إن قراءة حسن البنا عز الدين لشخصية ذي الرمة وشعره، قامت على حمل المعطيات التخييلية على وجودها التاريخي والاجتماعي والنفسي؛ وبالتالي دمجت البنيات النصية الشعرية- اللغوية والتركيبية والدلالية- بمجموع الحقائق التاريخية والوقائع التي عايشها ذو الرمة. إنها "علاقة وجه لوجه الملازمة لجميع أشكال التفاعل الاجتماعي".[21]

إن الأشكال المنهجي الكبير، الذي واجهه القارئ حسن البنا، هو أنه لم يتمكن ، في تجميعه لأخبار ذي الرمة، وحديثه عن وعي الكتابة وكتابة الوعي عنده[22]، أن يتخلى عن إسقاطاته وافتراضاته التاريخية والسياسية..، فكان أن رسخ "مبدأ عدم تمييز الأعمال الأدبية عن الوثائق التاريخية الصرف"[23]، وبالتالي سقط في شرك " القراءة التوثيقية التأريخية " دون كبير استجلاء، **إنجازي** لمقولات ومفاهيم نظرية التلقي؛ والتي ادعى – في غير ما تخرص- أنه سيعتمدها في اكتشاف وتلقي القدماء والمحدثين شعر الشاعر ذي الرمة .

فالذي يقرأ الكلام التالي، للناقد حسن البنا، في الصحيفتين السادسة والسابعة من كتابه، قيد الدراسة –" ونستطيع أن نقول إجمالا، إن موقف القدماء من ذي الرمة وشعره أقرب إلى نظرية استجابة القارئ Response Theory إذ تؤكد جماليات التأثير، التي تتضمنها هذه النظرية، الأثر الممكن للنص، وتركز بالتالي على التفاعل بين القارئ والنص، ذلك التفاعل

المنارة للاستشارات

الذي يمكن أن يثير، بحكم معاصرة الشاعر جمهوره الأولي، أراء متعددة تعود إلى أسباب مختلفة كذلك. أما موقف الدارسين المحدثين فأقرب إلى نظرية التلقي Response Theory التي تتبلور من تاريخ أحكام القراء، وبالتالي تؤكد جماليات التلقي، استقبال الجمهور للنص عبر مسافة تاريخية ممتدة، قد تثري عملية التلقي، كما قد تحد من آفاقها.. ولهذا سنركز على استخلاص المبادئ التي حكمت تفاعل القدماء والمحدثين وتلقيهم ذا الرمة وشعره؛ وبالتالي شكلت قراءاتهم التي وصلت إلينا". (24)

قلنا إن الذي يقرأ هذا النص، على طوله لأهمية في مجال الأسلوبية النقدية –لن يلفي نصبا في أن يفترض حضور الوعي بفاعلية المنهج النقدي في ذهن الناقد حسن البنا، لحظة " نظره "(25) في حياة ذي الرمة، وتلقيه لشعره. كما يفترض أن يكون الجهاز المفاهيمي الذي اصطفاه من نظرية استجابة القارئ، ونظرية التلقي، من أجل "استخلاص المبادئ التي حكمت تفاعل القدماء والمحدثين وتلقيهم ذا الرمة وشعره" (26)، بين القسمات، مندغما، إلى أقصى حد ممكن، في إجراءات تحليل وفحص ضوابط ومستويات القراءة الجمالية عنده، وعند غيره ممن تلقوا ذا الرمة وشعره.

لكن الذي يترجح عندنا أن في هذه الافتراضات كبير تحقيق مع استشكال. وأقرب منه للإيضاح أن حضورها في مركز مشروعه التفسيري دونها حدد. ذلك أن إحساسه بضرورة تقرير المفاهيم النقدية لنظرية التلقي خاصة، لا يوازيه إلا إحساسنا بغيابها داخل الممارسة التطبيقية، بدءا بالصحيفة (12) وانتهاء بالصحيفة (128). وهذا عد لصحائف يمثل سبعة وتسعون في المائة من مجموع الدراسة.

إن ثمة أمرا لا نخال حضوره يخفى على قراء كتاب الناقد حسن البنا، وهو أنه وفق، فيما نحسب، في التعريف بنظريات ومناهج الفكر النقدي الأدبي المعاصر، وفي إيضاح مرجعياتها وتباين توجهاتها في مقاربة الظاهرة الأدبية، ممثلة في أبحاث مدرسة كونسطانس الألمانية بزعامة

المنارة للاستشارات

هانس روبرت ياوس وولف غانج ايزر، وأعمال ستانلي فيش، ونورمان هولاند، وديفيد بليتش، وجان ستاوروبانسكي، وجهود جاك دريدا التفكيكية، وأبحاث أونج والتر في الشفاهية والكتابية.

وبقدر ما كان الأمر كذلك، بقدر ما لم يحالفه التوفيق في جعل الوشيجة منعقدة بينها، وبين متصرف وجودها، في ما اعتبره "**وعيا تاريخيا** " في تلقي الشاعر وشعره. إنه الاعتقاد بضرورة تطبيق المنظومة المصطلحية لنظرية التلقي خارج نظرية التلقي نفسها.

وتبعا لهذا، فإن الباحث لم يعدم من حيث وجاهة الرؤية النقدية، أفضل من استثمار الجهاز المفاهيمي الذي بلوره المنهج التاريخي في النقد الأدبي **(27)**. إنه سيكون من قري التظني بناء قراءة نقدية لقراءة حسن البنا هاته، في غياب الإقرار بصورة تحولها من النظر إلى ذي الرمة وشعره في ضوء نظرية التلقي، إلى وجهة النظر التاريخية، حيث سرد الأحداث التاريخية المرتبطة بالشاعر، والتركيز على الظروف الاجتماعية والنفسية المحيطة بإنتاجه الشعري.

1)- يقول مستعرضا كتابات القدماء والمحدثين في ذي الرمة وشعره: " طرح نص ذي الرمة إشكاليته الخاصة بالتلقي على نحو حاد في حياته؛ فحرمه من احتلال طبقة متقدمة في التصنيف بين شعراء عصره في سياق التيار العام "النقائضي" السائد"**(28)**.

2)- " ويبدأ ذو الرمة **بائيته المشهورة** ببيت يخاطب فيه نفسه، ويتساءل عن بكائه ودموعه. ويشير ابن طباطبا هنا، إلى تطير السامع مما يسمع.. ولهذا لم يغفر عبد الملك بن مروان للشاعر ما توهمه من مخاطبة الشاعر إياه أو التعريض به "**(29)**.

3)- " والحقيقة أن لذي الرمة دورا أساسيا في إشاعة هذا الجدل حول شعره وشاعريته، فقد تواترت الأخبار بتعلمه الكتابة سرا..وتعكس هذه الأخبار رغبة الشاعر الواعية وغير الواعية في الاحتفاظ بنص ثابت لشعره في مجتمع أدبي كتابي"**(30)**.

المنارة للاستشارات

4)- " وهكذا يمكن أن نرى كذلك في هذه الأخبار حول ذي الرمة، التي تشير إلى انتحاله شعر أو انتحال آخرين شعره أصداء لتلك المرحلة.."[31].

5)- " ولعل أهم حقيقة تم اكتشافها في هذا السياق، كانت أن ذا الرمة، **على حد تعبير أكثر من ناقد**، كان في حبه، ووصفه الصحراء خاصة، " فريدا في الشعر العربي القديم" – على تعبير [شوقي] ضيف، وأنه – على حد تعبير [عز الدين] إسماعيل فيما بعد – " نمط فريد بين الشعراء القدامى" ، وأنه – على حد تعبير [سلمى الخضراء] الجيوسي –" أهم شاعر في زمنه" – على الرغم من عدم اعتراف المعاصرين له بذلك. ولعل هذا الدور الفلسفي، في النظر إلى ذي الرمة وشعره يرجع إجمالا إلى حقيقة أن معظم المناهج، أو المداخل التي اتبعها أصحابها كانت في التحليل الأخير مناهج متشابهة في أساسها، ولم تسع إلى تطوير حقيقي للمقولات التي سبق إليها بعض أصحابها. وفي حين ركز بعضها، مثل بلاشير، على أفكار الشاعر الدينية التي يراها غامضة، حاول شوقي ضيف استثمار الدين الجديد في تفسير شعر ذي الرمة، وإن انطوت محاولته على مفارقة خطيرة في مقارنته هذا الشعر بالشعر الجاهلي.."[32]

بعد هذا ينتقل بنا الناقد حسن البنا، إلى توصيف محور آخر سماه: محور الدراسات التطبيقية الحديثة التي اهتمت بالشاعر وشعره؛ حيث يشير إلى أبحاث: محمد صبري، وعبد الله الطيب، وإحسان عباس، وعز الدين إسماعيل، ونسيمة الغيث، والسيد إبراهيم محمد، ومايكل سلس، وباروسلاف ستيتكيفيتش، بالإضافة إلى دراسات تطبيقية أخرى، اعتبرها ذات خطورة[33]، مثل دراسات يوسف خليف وحسين عطوان ومحمد سند.

6)- يقول: " ولعل هذه المراجعة النقدية لشعر ذي الرمة بين دارسيه المحدثين تكون قد ألقت بعض الضوء على بعض التقدم في تناول شعره، منذ أن كتب عنه سمند رسالته باللاتينية في 1874 حتى أواخر التسعينيات من القرن العشرين. ولا شك أن هذه الدراسات خلال

المنارة للاستشارات

هذه الحقبة الحديثة أعادت اكتشاف الشاعر وشعره وتلقته كل بطريقتها. وقد نلاحظ أن هذه الدراسات خرجت جميعا من عباءة منهج المرآة وفكرة اللحظات " النفسية " عند طه حسين. ثم حاولت اكتشاف آفاق جديدة لشعر ذي الرمة ومن هذه الآفاق المنظور النفسي، سواء أكان التحليلي المتصل باللاشعور الفردي عند فرويد، كما لدى عز الدين إسماعيل، أم المتصل باللاشعور الجمعي عند يونج، كما رأيناه في إشارات إحسان عباس إلى الشاعر وشرعه.. واختلط عند معظم الآخرين بتفسيرات فلسفية أو أسطورية أو حتى "موضوعاتية ".

ولقد كان لبعض الدارسين بلا شك نفاذ بصيرة في تأمل شعر ذي الرمة وطرح بعض الملاحظات العميقة عنه، مثل صبري وضيف والطيب وإسماعيل وستيتكفيتش"[34].

إنه لكي تستقيم المحاورة النقدية مع الأستاذ الناقد حسن البنا، ونتمكن من إدراك المطلوب مما استخلصناه من أقواله ونصوصه، لابد أن نسائله عن المعنى الذي يمنحه لمفهومْي " القراءة " و" التأويل "؟ ! وعن المنهاج الذي انتهجه، في انتقاله –إن تحقق وهو يقرأ ذا الرمة- من مفاهيم نقدية تصورية، تطول حدود التجربة الجمالية، إلى مجال الانجاز؛ بدءا بمقاربة الأفق المنهجي في قراءات هؤلاء القراء، وصولا إلى بيان دينامية التواصل التفاعلي، بين فعل القراءة عنده، وبنية النص الشعري، موضوع القراءة؟

بتساؤل أوضح: وفق أي استراتيجية في الفهم، واستنادا إلى أي مرجعية مصطلحية في التأويل، يمكن أن ندرك بأننا نقرأ مع هذا الناقد شعر ذي الرمة في ضوء نظرية التلقي؟

إن مثل هذه الأسئلة وشبهها كثير، يصعب أن نلفي لها أجوبة قطعية، وهذا ادعاء ليس من قري التواضع العلمي قط، بل هو من نسغ اللا تساهم واللا تقاطع، ما بين، مباحث كتاب تتخفى مقاصدها القرائية تحت ركام من المعطيات التاريخية، وعنوان جامع مانع لتلك المباحث، نستطيع خلاله أن نمتلك سلطة تنظم قراءتنا لمراتب القول في الكتاب كله.[35]

المنارة للاستشارات

وبهذا، فإنه إذا كنا ندرك أن المنهج النقدي هو الذي يختبر توافق النظرية مع مبادئها، صرنا إلى ملاحظة أن تداول المنهج، عند حسن البنا، لم يتم عبر المنظومة المصطلحية التي يكتنزها العنوان، وتنسج لحمتها وسداها، نظرية التلقي ونظرية استجابة القارئ أساسا. إن الإحاطة بالمعطيات التصورية، لا تعكس " مبدئية التعالق بين النظرية والمنهج"[36] عند حسن البنا،وبذلك بـ َـانَ بأَنَحقٍ بأن محدودية الحوار بين القطبين تظل قائمة.

هذا، ولعل هذا التأويل في غياب ذلك التعالق، إجراء موقوف الفهم في عمقه، لكنه أدخل في الحجة النقدية عندنا من طريق معيارية الوعي بالتاريخ، وبالكتابة التأريخية؛ هاته التي اكتفت ببسط أراء النقاد، القدامى والمحدثين، وتوصيف جهود المستشرقين ومواقفهم إزاء الشاعر وصناعته، بدل أن تتقصد " استخلاص المبادئ التي حكمت تفاعلهم وتلقيهم لذي الرمة وشعره"[37]، عبر **اختبار** مكونات العنوان النظرية التي يذهب إلى تبنيها. ويبدو أن حدسه النقدي كان أصدق عندما يقول على سبيل التمثيل:

-" وإذا استعرضنا بعض أخبار ذي الرمة". [38]

-" وفي هذا السياق تسعى الورقة الراهنة إلى فحص مكانة ذي الرمة وشعره" [39].

-" فإذا عدنا ونظرنا في بعض الروايات". [40]

-" ولعل هذه المراجعة النقدية لشعر ذي الرمة، بين دارسيه المحدثين تكون قد الفت بعض الضوء". [41]

-" ولعل إعادة الكشف عن هذه الملاحظات". [42]

إن أوضح في الذي نظنه من أمر هذه النصوص- الاستشهاد، يكمن في أن الحقيقة النظرية التي تكشف عنها تصوراته القرائية في تلقي القراء شعر ذي الرمة – بتراكماتها وتحول تمظهراتها – تم تقديرها بحكم المعيار التاريخي وحملها عليه، لعلة جامعة بينهما، وهي أن كل واحد منهما يفسر الآخر ويدل عليه. وفي هذا مؤشر على أن " **قراءة القراءة** " لدى حسن

المنارة للاستشارات

البنا عز الدين – وان استثمرت بشكل ضمني، ما هو مفهومي في المنهج التاريخي في النقد الأدبي- قد وقعت في " **وهم المصالحة**"، بين نظرية تجعل التفسير التاريخي لشعر ذي الرمة مرتبطا بذي الرمة نفسه، مستعرضة كل المعارف والوقائع التاريخية والاجتماعية التي اكتنفت حياته. ونظرية التلقي التاريخية التي تعتمد على وضعية جدلية، بين شعر ذي الرمة وشروط تلقيه تاريخيا؛ نقصد: شروط مسار متحرك لتلقيات قراء متعاقبين، مفروض أن يطلعنا، حسن البنا عز الدين، على أجهزة تلقيهم أو قل: نصوص قراءاتهم.[43]

لذلك فليس هناك من طريق يوصلنا إلى الاقتراب من الإجابة عن سؤال المنهج لدى الباحث، سوى طريق المفاهيم والمصطلحات الموظفة؛ وهذا ما ألمحنا إليه سلفا. إن القاعدة القرائية المنتجة تقتضي من القارئ حسن البنا " **اختبار**":

أ)- أفق التوقع ودوره في دينامية التجربة الجمالية[44]، من خلال بيان التجربة المسبقة التي يتوفر عليها كل القراء الذين انتدبوا أنفسهم لقراءة شعر ذي الرمة. ومعرفتهم بسابق النصوص الشعرية من لاحقها. ثم معرفتهم بأن أفق التجربة المفترض في النصوص الشعرية، هو أفق للقراءة التخييلية كنقيض مباشر للقراءة التاريخية التي ثبتها الباحث في كتابه.

ب)-وأفق التوقع ومنطق السؤال والجواب، عبر توضيح علاقة التفاعل، الممكن إقامتها بين أفق التوقع المفترض في أشعار ذي الرمة – والتي لا نعرف منها إلا البائية – وأفق التجربة الجمالية المفترض لدى ابن طباطبا العلوي، وأبي الفرج الأصفهاني، والمرزباني، وعبد الله الطيب، وإحسان عباس، وشوقي ضيف...

ت)-وأفق التوقع وإجرائية الأزمنة الثلاثة[45]، حيث زمن الإدراك الجمالي وزمن التأويل الاستعادي، والزمن التاريخي، كل ذلك في علاقة مع مفاهيم أخرى من قبيل: المسافة التاريخية والمسافة الجمالية والاستجابة لأفق التوقع، وتخيبه..، ومفهوم القارئ الضمني[46] في شعر ذي الرمة، والتفاعل الدينامي، بين نصوص الشاعر وهؤلاء القراء، ومكونات الذخيرة النصية[47]،

المنارة للاستشارات

ومكونات الذخيرة القرائية والفراغات والبياضات[48] الدلالية الكامنة في النصوص التي يفترض تاريخيا، أن أولئك القراء تفاعلوا معها وأولوها.

الهوامش:

[1]- نقصد التيارات البنيوية، مرورا بمدارس السوسيولوجيا والتأويليات، وتفكيكية جاك دريدا، وصولا إلى نظريات القراءة والنقد الثقافي..

[2]-حسن البنا عز الدين، ناقد مصري، نال درجة الدكتوراه من جامعة عين شمس بمصر (1986)، درس في العديد من الجامعات داخل مصر وخارجها. له العديد من المؤلفات المرتبطة بتحليل نصوص الشعر العربي القديم، إضافة إلى الكتاب قيد القراءة ، نذكر منها:

- الكلمات والأشياء التحليل البنيوي لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي، ط 2، 1998.
- شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام.
- الطيف والخيال في الشعر الجاهلي.
- مفهوم الوعي النصي في النقد الأدبي: دراسات ومراجعات نقدية.
- قراءة الآخر / قراءة الأنا: نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد الأدبي العربي المعاصر.
- الشعر العربي في أعمال ياروسلاف ستيتكيفيتش.

[3]-الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية الهرم، مصر، الطبعة الأولى، 2001.

[4]- الشعر العربي القديم في ضوء نظرية التلقي والنظرية الشفوية "ذو الرمة نموذجا"،ص: 28.

[5]- منها على سبيل المثال:

- Pour une esthétique de la réception – H.R. Jauss. . Edit : Galimard, Paris, 1978
- L'acte de lecture : Théorie de l'effet esthétique ، W .Iser.

-Pour une herménentique littéraire- H.P Jauss. Edit : Gallimard, Paris, 1988

[6]-انظر (طرائق إعلان المناهج النقدية وتوجهات النقاد الى الطرائق والمناهج) محمد سالم الأصفهاني، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم، السنة 4، العدد 7 (1436هـ)، ص: 419.

[7]-الشعر العربي القديم..،حسن البنا عز الدين، ص: 5.

[8]- نفسه، ص: 3.

[9]- نفسه، ص: 3.

[10]- مطلعها: ما بال عينيك منها الماء ينسكب*** كأنه من كلى مفرية سرب.

[11]- قراءة الآخر/قراءة الأنا، نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر- حسن البنا عز الدين، نشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ط 1، 2008، ص: 206.

[12]- انظر قراءة الآخر/قراءة الأنا، ص: 206، والشعر العربي القديم..،ص: 5 و ص: 73 – 80.

[13]- الشعر العربي القديم..، ص: 81.

[14]- قراءة الآخر/قراءة الأنا، ص: 205 – 206.

[15]- الشعر العربي القديم..،ص: 25.

[16]- نفسه،ص: 25.

[17]- نفسه، ص: 26.

المنارة للاستشارات

(18)- قراءة الآخر/قراءة الأنا، ص: 205.

(19)- الشعر العربي القديم..، ص: 5.

(20)- القراءة بالمماثلة في الشعرية العربية القديمة، أحمد طايعي، منشورات زاوية، الرباط ،ط1-2007،ص:146.

(21) -L'acte de lecture : Théorie de l'effet esthétique، W .Iser-p132.

(22)- انظر مبحث: وعي الكتابة وكتابة الوعي،ص81 وما بعدها.

(23)- الشعر العربي القديم..، ص: 13.

(24)- نفسه، ص: 6-7.

(25)- نفسه، ص: 3.

(26)- نفسه، ص: 7.

(27)- منها على سبيل المثال: منهج البحث في الأدب واللغة- لانسون - ضمن كتاب: النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندو، وفي الأدب والنقد، لمحمد مندور، والنقد والتاريخ- عبد الرحمان المساوي.

(28)- الشعر العربي القديم..،ص: 12.

(29)- نفسه 13.

(30)- نفسه 17.

(31)- نفسه 18.

(32)- نفسه 36.

(33)- نفسه 36.

(34)- نفسه 45.

(35) -انظر بهذا الشأن: La marque du titre : dispositifs sémiotique d'une pratique textuel, éd : 1981, -Leo Hoer p : 3

(36)- القراءة العاشقة واستراتيجية قراءة النص السردي الكلاسيكي، عبد الرحمن بوعلي- ص 324، ضمن الندوة الدولية: قراءة التراث الدبي واللغوي في الدراسات الحديثة، كلية الآداب جامعة الملك سعود-2014.

(37)- الشعر العربي القديم.. ص: 70.

(38)- نفسه، ص:23.

(39)- نفسه، ص:12.

(40)- نفسه، ص: 26.

(41)- نفسه، ص: 45.

(42)- نفسه،ص: 45.

(43)- الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف، حميد لحميداني، مطبعة أنفو برانت، فاس-ط2 -2012-ص: 166.

(44) -Pour une herménentique littéraire- H.P Jauss. Edit : Gallimard, Paris, 1988- p25-..
-Pour une esthétique de la réception – H.R. Jauss. . Edit : Galimard, Paris, 1978- p49..

(45) -Pour une herménentique littéraire-p 357-364..

(46) -L'acte de lecture : Théorie de l'effet esthétique .p 48-50.66-73..

(47)- ibid p.129-144-145.

(48) - ibid p.110-295-325.

المنارة للاستشارات